أهداف الحوار مع الغرب ومحاذيره

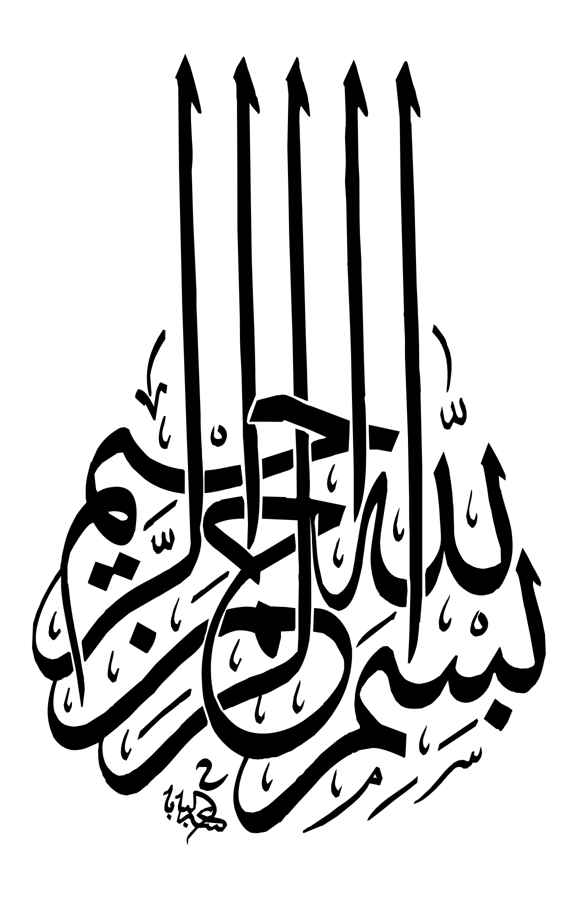
بقلم:

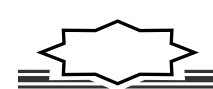
د. سعد بن علي بن محمد الشهراني

الأستاذ المشارك بقسم العقيدة والأديان – جامعة أم القرى

والمستشار برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة

بحث مقدّم لمؤتمر « العالم الإسلامي والغرب
الحواجز والجسور »
والمنعقد بالجامعة الإسلامية العالمية – ماليزيا
تنظيم: « المعهد العالمي لوحدة الأمة الإسلامية »
في الفترة ١٢-١٤/٨/١٤٢٧هـ الموافق ٥-٧/٩/٢٠٠٦م


بسم الله الرحمن الرحيم



المقدمـــــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيه الأمين وآله وصحبه أجمعين،، وبعد: -

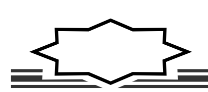
الإسلام دين الحوار، فلقد أرسى قواعده، وقيَّد ضوابطه، وبيَّن آدابه، في نصوص متكاثرة في كتاب الله تعالى تضمنت أروع البيان، وأصول المناظرة، وآداب المحاورة، وفي سنة نبيه المصطفى ﷺ القولية والعملية، ما يعين المحاور، فلقد دعا المصطفى ﷺ إلى الله وحاور، وناظر، وباهل، فكان خير أسوةٍ للمتحاورين.

والمحاور المسلم لا ينطلق في حواراته من فراغ، بل له أهداف سامية معلومة؛ إذ إن أهداف الحوار هي ثمرته وغايته المطلوبة، وبتحديد هذه الأهداف تتضح موضوعاته وأساليبه وأهدافه، وعليه فإن الحكم على الحوار حرمةً وجوازًا، نجاحًا وفشلاً، قوةً وضعفًا، إنما يكون بمعرفة أهدافه، فالقاعدة الشرعية تنص على أن الأمور بمقاصدها، وبدون تحديد هذه الأهداف يبقى الحوار ضياعًا للوقت، وهدرًا للطاقات، وإشغالاً للأمة بما لا يرتجى منه فائدة.

وسيجد المتتبع لحوارات النبي ﷺ سواء مع أصحابه أو مع المشركين أو اليهود والنصارى، أو الملوك والأمراء، أن لها أهدافًا عظيمة ربانية، ترتقي وتترفع عن الأهداف الأرضية المادية التي يسعى لها بعض البراجماتيين والنفعيين.

ومما يؤسف له أنه دخل باسم الحوار والدفاع عن الإسلام من ليس مؤهلاً لذلك، فتصدّر الرويبضات لهذه الحوارات، وسكت الثقات، عن تمثيل الإسلام في المحافل ووسائل الإعلام.

والدعاة إلى الله مطالبون بإقامة الحجة، وإبلاغ الرسالة للناس كافة، فلا بد لهم أن يتسلحوا بعلم « المحاورة وآداب المناظرة » ويحذروا من الوقوع في شِراك هذه المحاورات الجدلية المغرضة.



ولذلك حاولت في هذا البحث المتواضع أن أقدم أهدافًا مشروعة للحوار مع الغرب، يضعها المحاور المسلم نصب عينيه، ومحاذير ينبغي الوقاية من الوقوع فيها، فقد وقع فيها ثلة من المحاورين بعلم أو بجهل أو بتأويل غير سائغ، فلا هم للإسلام نصروا، ولا لشبهات الغرب كسروا، بل خذلوا وأضروا أكثر مما نفعوا.

والحوار الذي أعنيه، ليس حوار التقريب بين الأديان المحرم والمحذور، إنما حوار التعايش الحضاري بيننا وبين الغرب.

وأسأل الله تعالى التوفيق والسداد فيما ذكرت من أهداف ومحاذير..

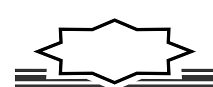
سائلاً المولى ﷻ أن يجعل عملي لوجهه خالصاً ..

وهو حسبي وبه توفيقي، عليه توكلت وهو رب العرش العظيم

كتبه

د. سعد بن علي بن محمد الشهراني

مكة المكرمة



تعريف الحوار

الحوار في اللغة: أصله من الحَوْر وهو الرجوع عن الشيء وإلى الشيء[(1)].

قال الجوهري: حار يحور حورًا وحؤورًا: رجع، يقال: حار بعدما كار، والمحار: المرجع، والمحاورة: المجاوبة، والتحاور: التجاوب [(2)].

وقال الفيروز آبادي: « وتحاوروا تراجعوا الكلام بينهم، والتحاور التجاوب »[(3)].

وقال الراغب الأصفهاني: « الحَوْرُ التردد إمّا بالذات وإما بالفكرة ... والقوم في حَوَار في تردد إلى نقصان ... والمحاورة والحَوَار: المرادة في الكلام ومنه التحاور، قال الله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ ﴾ [المجادلة:١] » [(4)].

إذًا فالحوار في اللغة هو تراجع الكلام والتجاوب فيه بالمخاطبة.

والمعنى الاصطلاحي لا يختلف عن المعنى اللغوي، فمصطلح الحوار من المصطلحات الحادثة والجديدة.

يقول د/ عبدالعزيز التويجري: « مفهوم الحوار في الفكر السياسي والثقافي المعاصر، من المفاهيم الجديدة، حديثة العهد بالتداول، ولعل مما يدل على جدة هذا المفهوم وحداثته أن جميع المواثيق والعهود الدولية التي صدرت في الخمسين سنة الأخيرة، بعد إنشاء منظمة الأمم المتحدة، تخلوا من الإشارة إلى لفظ الحوار » [(5)].

ومصطلح «الحوار» قد يُراد به «حوار التقريب بين الأديان»، وقد يراد به «حوار التعايش» بين أتباع الأديان، فهو بالمعنى الأول مذموم مطلقًا، وبالمعنى الثاني يخضع

---

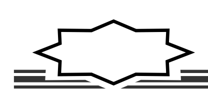
(١) لسان العرب (حور) (٤/ ٢١٧).

(٢) الصحاح (حور) (٢/ ٦٤٠).

(٣) القاموس المحيط (حور) (٢/ ١٦).

(٤) المفردات ص(١٣٤).

(٥) الحوار والتفاعل الحضاري من منظور إسلامي ص(٧).



للسياسة الشرعية للأمة، وللأهداف المرسومة لهذا الحوار[1]. وهذا ما أردته في هذا البحث.

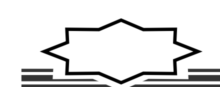
وثمة ألفاظ استخدمت بدلاً عن الحوار منها (المناظرة، الجدال، المحاجّة).

وهذه المصطلحات كلها تشترك مع الحوار في أنها مراجعة الكلام ومداولة له بين طرفين، فهي تدخل في معنى الحوار من هذه الجهة، ثم تفترق المناظرة في دلالتها على النظر والتفكر، كما أنها تتمد على الصرامة العلمية، والقواعد المنطقية، أما الجدال والمحاجة فهي تفترق عن الحوار في دلالتها على المخاصمة والمنازعة[2].



(١) انظر: دعوة التقريب بين الأديان (٤/ ١٦٦٣).

(٢) انظر: الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، يحيى زمزمي: ص(٢٦-٣١)، ثقافة الحوار في الإسلام: ص(١٩-٥٦)، وفيها عرض موسع للفرق بين الحوار والمصطلحات المقاربة له.



أهمية الحوار في الإسلام

الإسلام دين الحوار، ولا توجد ملّة من الملل أعطت للحوار أهميته، ووضعت له قواعده وضوابطه وآدابه كملّة الإسلام، ولن يعدم المحاور قاعدة منطقية للحوار إلا وجد دليلها في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وهذا دليل على حيوية وواقعية الإسلام وقدراته على كونه دينًا لكل الأزمنة والأمكنة(١)، رغمًا عن أنف المتشدقين، الغافلين عن عظمة هذا الدين وشموليته وكماله.

والقرآن الكريم كتاب حوار، فلقد حفل بالعديد من المواقف الحوارية، التي بمعنى المراجعة والمرادة في الكلام بلغت قرابة مائة وعشرين موقفًا حواريًا، شغلت نحو ألف آية من كتاب الله، أي ما يعادل سدس آي القرآن، هذا سوى الآيات الخطابية المصدرة بـ(يا أيها الناس) و(يا أهل الكتاب)، و(يا أيها الذين آمنوا)، وسوى آيات المسائلة والمحاجّة التي لا يعقبها جواب، وآيات الإخبار عن المقالات التي لا تتضمن مراجعة في الكلام، وإن كانت هذه جميعًا في الواقع تحمل طبيعة الحوار ولو جرى حسبانها جميعًا لصار القرآن كله كتاب حوار (٢).

وقد يقول قائل: إن كلمة حوار لم ترد في القرآن الكريم إلا في ثلاث آيات(٣)، فكيف يقال إن القرآن الكريم كتاب حوار ؟!

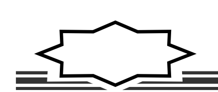
فالجواب إضافة إلى ما سبق ذكره أنه وإن لم تستعمل كلمة حوار بكثرة، فقد استخدمت مادة (القول) التي وردت في (١٧٢١) موضعًا، والملفت للنظر هنا أن كل كلمة تكلم بها الآخرون ردّ عليها الله تعالى في القرآن الكريم وطالب النبي بأن يرد على شبهاتهم ودعاويهم، فكل كلمة (قالوا) في القرآن الكريم يوجد مقابلها كلمة (قل).

---

(١) انظر: ثقافة الحوار في الإسلام، د/ عبدالقادر الشيخلي: ص(٧-٨).

(٢) الحوار في القرآن والسنة: أسسه وأهدافه، د/ أحمد القاضي: ص(١٨٨).

(٣) في سورة الكهف موضعين الآية رقم (٣٤)، والآية رقم (٣٧)، وفي سورة المجادلة آية رقم (١).



وقصص القرآن الكريم عن الأنبياء وأقوالهم إنما هي في الحقيقة حوارات أنموذجية للمسلم الداعية في كل زمان ومكان ليتعلم منها كيف يحاور الآخرين(١).

كما أن تعرض القرآن الكريم للحوار جاء بأساليب مختلفة متعدّدة، ففي بعض الآيات تظهر الدعوة إلى الحوار أو إلى شيء من مستلزماته وأصوله، وفي نصوص أخرى حث على التزام آداب عامة للحوار، وفي قسم منها بيان آداب خاصة من آداب الحوار، وفي قسم آخر نماذج وأمثلة للحوار (٢).

فمن النصوص العامة التي وضعت مقومات الحوار وأصوله وشروط الانتفاع به قوله تعالى: ﴿ ۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ ﴾ [سبأ:٤٦].

وتأتي هذه الآية ردًا على المشركين الذين طعنوا في النبي ﷺ دون تدبّر أو تكفير فاتهموه بالكذب تارة وبالسحر تارة أخرى كما في الآيات قبلها.

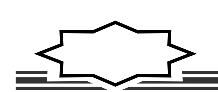
فأقام الله ﷻ هذه الموعظة العظيمة التي من أخذها بجميع مقوماتها فلا بد أن يصل إلى الحق، وهذه المقومات هي:

١ – القيام لله تعالى ﴿ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ ﴾ وهو الإخلاص والتجرد في طلب الحق، وهو شرط أساسي لكل عمل، ويندرج تحت هذا الأصل آداب كثيرة للحوار منها: تصحيح النية، وحسن الاستماع، والتسليم بالخطأ، والرجوع إلى الحق، والتواضع وتجنب الكذب والمراوغة، والأمانة، والإنصات، والعدل، والهدوء، وضبط النفس، وعدم الغضب، وتجنب الاستهزاء والسخرية بالطرف الآخر .. وغير ذلك.

٢ – مراجعة النفس على انفراد أو مع الآخرين ﴿ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ﴾، والالتزام بهذا الشرط يقضي على عامل مهم من العوامل التي تغطي الحق أو تشوّه وجهه، وذلك في مثل الأجواء الجماعية والجماهير الجاهلة، والتي غالبًا ما تتصف بالغوغائية والتقليد

(١) الحوار في الكتاب والسنة مبادئه وأهدافه، د/ بسام عجك: ص(١٨٨).

(٢) الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، د/ يحيى زمزمي: ص(٤٨).



الأعمى واتباع كل ناعق من رؤوس الضلال، مما قد يؤدي بطالب الحق المخلص إلى اتباع الأكثرية من الناس، متهمًا نفسه، ظانًا أن الحق مع الأكثرية.

وهذا الأصل أيضًا يدخل تحت عدة أمور تجب مراعاتها، كمراعاة الجو المحيط بالحوار، والظروف النفسية والاجتماعية للطرفين والتعارف قبل الحوار، والتحدّي والإفحام، والمحافظة على هدف الحوار والوصول إلى نتيجته.

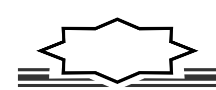
٣ - التفكير فيما يقوله المخالف ﴿ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ ﴾، وهذا الأصل هو الوسيلة الأساسية للوصول إلى الحق بعد الالتزام بالشرطين السابقين، فالتفكير والعلم وإمعان الرأي هو المتمّم لهذا المنهج الإلهي للوصول إلى الحق، وتبين الهدى من الضلال، لأن أداة التفكر الأساسية هي العلم بحال القضية المختلف فيها ومعرفة ملابساتها، والمقصود بالتفكّر هو البحث عن الأدلة الشرعية العلمية والتحقّق من ثبوتها ودلالتها على المراد، والجاهل بذلك كله لا يستطيع الوصول إلى الحق فيوجهه التقليد الأعمى دون فكر أو نظر.

ويدخل تحت هذا الأصل عدد من الآداب العلمية كالبيان وحسن العرض والتثبت والتوثيق، والبدء بمواطن الاتفاق وطلب الدليل والمبادرة به، والتسليم بالحق والبدء بالأهم. [1]

ولا يسع المقام البسط عن حديث القرآن عن الحوار، أما السنة النبوية فهي عامرة بالمواقف الحوارية الرائعة، والمناظرات المقنعة، وسيرته العملية ﷺ في دعوة كفار قريش وأهل الكتاب: من يهود المدينة، ونصارى نجران، ومكاتباته لملوك الأرض، خير دليل على ذلك، وعلى إثره درج أئمة السلف من الصحابة والتابعين في محاورة المخالفين.



(١) الحوار آدابه وضوابطه، د/ يحيى زمزمي: ص(٤٩-٥١) باختصار.



الأهداف المشروعة للحوار مع الغرب

في الحوار مع الغرب طرفان ووسط، أما الطرف الأول فيرى المنع والتحفّظ على هذه الحوارات لارتباط الحوار بالتنصير كما يقولون[1]، وارتباطه بالتهيئة للاستعمار، ونحو ذلك، ويرى بعض الباحثين أن هذه حجج وقتية، قد لا ترقى إلى العلمية الموضوعية[2]، وهذا الرأي وجيه إذا كان المقصود بالحوار حوار التقريب بين الأديان، أما إذا كان حوار التعايش السلمي ففيه مبالغة وتجوز.

أما الطرف الثاني: فهو الذي يرى الحوار مع الغرب مطلقًا دونما أهداف معلومة، وضوابط مشروعة، فأصبح مجرد الحوار هو الهدف، والموقف الاعتذاري الانهزامي هو الطابع لهذا الطرف[3]، ولا يمكن أن نسمي هذا حوارًا بل نسميه اعتذارًا أو دفاعًا أو تبريرًا ونحو ذلك [4].

أما الوسط: فهو يرى الحوار مع الغرب وله أهداف سامية معلومة، وضوابط شرعية معتبرة، يحافظ على الثوابت، ولا يقدم التنازلات، ولا يقف موقف الضعيف المنهزم، بل يقف موقف القوي المعتز بدينه والمتمسّك بثوابته وقيمه، فهو يحاور بلا ضعف ولا عنف.

والنصوص الشرعية في الكتاب والسنة تؤيد هذا الرأي، يقول ابن تيمية: « فكل من لم يناظر أهل الإلحاد والبدع مناظرة تقطع دابرهم لم يكن أعطى الإسلام حقّه ولا وفّى بموجب العلم والإيمان، ولا حصل بكلامه شفاء الصدور وطمأنينة النفوس،

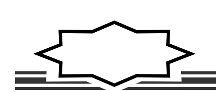
---

(١) انظر: الحوار الإسلامي المسيحي: ضرورة المغامرة، سعود المولى: ص(١٢٧-١٣٦).

(٢) وهو رأي د/ علي النملة انظر: الشرق والغرب منطلقات العلاقة ومحدداتها: ص(١٤٤).

(٣) انظر: نماذج من هذا الموقف الانهزامي الاعتذاري: نحن والغرب حوارات مع حمادي الصيد، وسهيل إدريس، والطاهر لبيب، وعبدالمجيد الشرفي، ومحمد الطالبي، إعداد: كلثوم السعفي، وانظر أيضاً: أوهام الإسلام السياسي، عبدالوهاب المؤدب: ص(٢٣١).

(٤) الشرق والغرب منطلقات العلاقة ومحدداتها، علي النملة: ص(١٤٤).



ولا أفاد كلامه العلم واليقين »[1]، ومثله كلام الإمام ابن القيم عند ذكره للفوائد من قصّة وفد نجران فقال: « ومنها جواز مجادلة أهل الكتاب ومناظرتهم، بل استحباب ذلك، بل وجوبه إذا ظهرت مصلحته من إسلام من يرجى إسلامه منهم، وإقامة الحجّة عليهم ولا يهرب من مجادلتهم إلا عاجز عن إقامة الحجّة فليولّ ذلك إلى أهله وليخلّ بين المطي وحاديها والقوس وباريها »[2].

وسنأتي إلى ذكر أهم الأهداف المشروعة للحوار:

أولاً: الدعوة إلى الله تعالى:

إن الحوار الحضاري مع الغرب يعد تطبيقًا لمبدأ جهاد الدعوة، وهو أحد أنواع الجهاد التي ذكرها النبي ﷺ: « جاهدوا المشركين بأيديكم وألسنتكم وأموالكم » .

فالحوار يندرج تحت الجهاد باللسان، وهو مجال عظيم، ومناخ مناسب يمكن للمسلمين أن يستفيدوا منه لتحقيق أحد فرائض دينهم، وهو الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن.

والدعوة إلى الله وبيان محاسن هذا الدين وفضائله من أسمى أهداف الحوار وأجلها، وهي وظيفة الأنبياء والرسل جميعًا، والآيات الدالة على ذلك في كتاب الله تعالى كثيرة.

كما أمر الله تعالى نبيه محمد ﷺ بدعوة أهل الكتاب ومحاورتهم، فقال ﷻ:

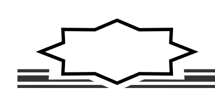
﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [آل عمران:٦٤].

وقد أرسل الرسول ﷺ الكتب إلى ملوك أهل الأرض -ومنهم أهل الكتاب-

---

(١) مجموع الفتاوى: (٢٠/ ١٦٤-١٦٥).

(٢) زاد المعاد: (٣/ ٦٣٩) بتحقيق الأرناؤوط.



تلبية لأمر الله تعالى يدعوهم إلى الإسلام مثل رسالته عليه السلام إلى هرقل وهي: « من محمد عبدالله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى. أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين. فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين، و﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران:٦٤] » رواه البخاري[1].

ومن تأمّل حوارات النبي ﷺ وأصحابه وجد أن غايتها هذا الهدف السامي، ومن ذلك أنه سمع بعض نصارى الحبشة بمبعث النبي ﷺ قدموا إلى مكة -وكان ذلك قبل الهجرة- وكانوا عشرين رجلاً فأتوا النبي ﷺ فوجدوه عند البيت الحرام فجلسوا إليه وكلموه، فلما فرغوا من مسألة رسول الله ﷺ عما أرادوا، دعاهم رسول الله ﷺ إلى الله ﷻ وتلا عليهم القرآن. فلما سمعوا القرآن فاضت أعينهم من الدمع، ثم استجابوا لله وآمنوا به وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره[2]. وعندما أسلموا أنزل الله تعالى: ﴿ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانٗا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡحَقِّ وَنَطۡمَعُ أَن يُدۡخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [المائدة:٨٢-٨٥]. [3]

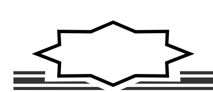
وعندما هاجر الصحابة إلى الحبشة تحاوروا مع النجاشي، وقرأ جعفر بن أبي

---

(١) صحيح البخاري: (١/ ٦).

(٢) السيرة النبوية لابن هشام: (٢/ ٢٨-٢٩).

(٣) تفسير ابن كثير: (٢/ ٨٥).



طالب صدرًا من سورة مريم فأسلم النجاشي[1] ومات على الإسلام سنة تسع، وصلى عليه النبي ﷺ صلاة الغائب[2]، ولما قدم النبي ﷺ المدينة أتى إليه عبدالله بن سلام وحاور النبي ﷺ فأسلم رضي الله عنه[3].

فهذا الهدف هو أسمى الأهداف وأعلاها؛ لأنه فيه تبليغ دعوة الله إلى الناس، وإنقاذهم مما هم فيه من الشرك والجهل »[4].

« وقد وجّه الله تعالى رسوله ﷺ وأمته جميعًا إلى مجادلة أهل الكتاب ﴿ بِٱلَّتِى هِىَ أَحۡسَنُ ﴾ بأسلوب القصر الذي لا تخيير فيه، حين يتعلق الجدل (بأهل الكتاب) بالذات؛ لأن لديهم علمًا سابقًا قد يغرّهم ويغريهم بالجدل، ولديهم تحريفًا هائلاً ورثوه عن أسلافهم قد يضلهم ويجعلهم يتصلبون على باطلهم، لذلك يحتاجون أكثر من المشركين إلى غاية الملاطفة والمحاسنة، حتى يسمعوا كلام الله وهديه في هدوء وروية، رجاء أن يهتدوا إلى الحق الذي يصدق ما معهم من الحق، ويصحح ما ورثوه من الباطل »[5]، قال تعالى: ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [العنكبوت:٤٦].

ولا يعني الأمر بمجادلتهم بالتي هي أحسن، والموعظة الحسنة تقديم التنازلات، أو التفريط في اللين والتساهل في قبول الحق، أو المجاملة على حساب الحق، وقد يعد بعض المحاورين ذلك من الكياسة أو السياسة المقبولة دينًا، وهذا خطأ

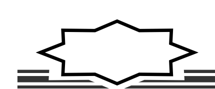
(١) السيرة النبوية لابن هشام: (١/ ٢٩٠)، الشريعة للآجري: ص(٤٤٩-٤٥١).

(٢) صحيح البخاري: (٤/ ٢٦٤)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري: (٧/ ١٩١).

(٣) صحيح البخاري: (٤/ ٢٦٨).

(٤) الحوار مع أهل الكتاب أسسه ومناهجه في الكتابو السنة، د/ خالد القاسم: ص(١١٣-١١٤).
انظر نماذج من حوارات النبي ﷺ في: حوار الحضارات وطبيعة الصراع بين الحق والباطل، د/ موسى الإبراهيم: ص(٢٥٥-٢٧٠).

(٥) آفاق الحوار بين الحضارات والثقافات، أ.د/ عبدالستار السعيد: ص(٨٨).



شديد؛ لأن هذه الأمور هي وسائل وأساليب لتوصيل الحق واضحًا إلى الناس، والحق ذاته ليس محلاً للجدل أو المساومات والتنازلات خاصة في الدعوة إلى التوحيد، ونبذ الشرك، والاستسلام لشريعة الله، لذلك يوصي الله تعالى باللين والحكمة والبصيرة، مع الثبات التام على حقائق الحق الذي علمنا إياه، ولذلك ختم الآية الكريمة بقوله سبحانه: ﴿ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾؛ لأن مجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن، لا ينبغي أن تنسينا أصل القضية في توحيد الله، وإسلام الوجوه والقلوب لله الواحد القهار، وأهل الكتاب قد حرفوا هذا الأصل تحريفًا هائلاً، كما قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [التوبة:٣٠-٣١].

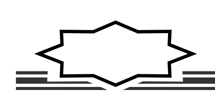
ولذلك أيضًا ختمت الآية الثانية بقوله تعالى: ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾، فهذا تنزيه لله تعالى عن الشرك والنقص، وإعلان واضح بأننا موحدون لا نقبل الشرك والشركاء، مع التزامنا التام بالدعوة إلى الله تعالى على بصيرة، وتمسكنا بآداب الحوار وأصوله (1).

فالداعية المحاور يجادل بالتي هي أحسن، متمسكًا بثوابته وأصوله، واضعًا نصب عينيه الهدف الأسمى لهذا الحوار وهو هداية الخلق والحرص على اتباعهم الحق. وتتمة هذا الهدف في التالي:

ثانياً: بيان الباطل وزهقه:

وذلك لإقامة الحجة وإظهار الباطل على حقيقته، ولتستبين طرق الضلالة، كما قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الأنعام:٥٥]، ولكي

(١) المصدر السابق: ص(٨٩-٩٠).



يختار كل واحد أحد الطريقين عن بينة ووضوح، كما قال تعالى: ﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال:٤٢].

وقد بيّن الله ﷻ أن كتمان الحق وتلبيسه بالباطل هو شأن اليهود والنصارى، وقد نعى عليهم ذلك فقال تعالى: ﴿ وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [البقرة:٤٢]. (١)

والآيات القرآنية في بيان باطل أهل الكتاب كثيرة جدًّا، وقد طبّق النبي ﷺ بسيرته العملية هذا المنهج الرباني، ومن أعظم ما ورد من هذه المحاورات مع تلك المحاورة الرائعة التي وقعت بين رسول الله ﷺ ووفد نصارى نجران، والتي أنزل الله في شأنها فوق ثمانية آيات من سورة آل عمران.

وهي قصة جديرة بالتأمل والدراسة(٢)، لأنها مثال عملي تطبيقي يشتمل على جملة من القواعد، والأصول، والحكم، والمعاني، والمعاملات الحسنة، والصبر الجميل في الحوار والمناقشة. ومنها على سبيل الاختصار ما يلي:

١- أن النبي ﷺ حاور وجادل هذا الوفد طويلاً، مطبقًا معايير القرآن في ضبط الجدل بالأحسن، وغيره من الشروط.

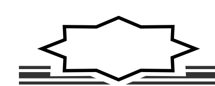
٢- كان الحوار في أصل الأصول وهو التوحيد، وتأليه غير الله وقد حاورهم طويلاً، ورد أباطيلهم، ولم يساوم أو يتنازل عن شيء من الحق، وإذا جاز الحوار في هذا فكل ما عداه أهون منه؛ لأن الحوار هو طريق الفهم والبيان، وإقامة حجة الله تعالى على الناس.

٣- أن النبي ﷺ أنزلهم في مسجده، وتركهم وما يدينون فلم يكرههم على شيء، وبعد أن تصلبت عقولهم عن قبول البرهان والدليل دعاهم للمباهلة.

---

(١) انظر: الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، د/ يحيى زمزمي: ص(٤٥)، والحوار مع أهل الكتاب أسسه ومناهجه في الكتاب والسنة، د/ خالد القاسم: ص(١١٤).

(٢) كتب د/ أحمد علي عجيبة، بحثًا مستقلاً بعنوان (نصارى نجران بين المجادلة والمباهلة).



٤- بعد أن اتضحت الحقائق، وتقررت العقائد، وظهر الحق جليًّا لم يمنعه ذلك من (التعايش) السلمي معهم على ما هم عليه، وقد قبلهم في دولته، وعقد معهم صلحًا على غاية العدل والفضل، راعي فيه حقوقهم وحقوق المسلمين، وهذا هو الأساس في قبول غير المسلمين في دولة الإسلام، وعدم انتقاض حقوقهم بسبب الخلاف في الدين، مع تجلية العقائد وأحكام الدين، وعدم المداهنة فيها، أو تمييع حقائقها.

٥- من هذا وأمثاله كثير يتقرر أن الحوار الواسع، ثم التعاون حتى بعد الاختلاف، وهو عندنا -نحن المسلمون- ليس قضية سياسية تخضع للتقلبات، وإنما هو دين ملتزم، مقرر بنصوص القرآن، وعمل الرسول، وأن الأمة الإسلامية مكلفة به، ملتزمة تطبيقه في كل العصور ضرورة أنه وسيلتها العظمى في الدعوة والإبلاغ. (١)

ثالثاً: رد الشبهات وكشف زيفها، وتحصين الآخرين من الوقوع فيها:

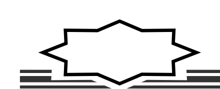
لأن الشبهة إذا استقرت في قلب صاحبها منعته من قبول الحق والإذعان له.

وقد اعتنى القرآن بهذا الهدف فذكر شبهات الكفار من أهل الكتاب والمشركين، وردّ عليها بأوضح برهان، وهذا من الحكم في إنزال القرآن مفرقًا، كما قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ [الفرقان:٣٢-٣٣].

قال ابن كثير: « ولا يأتونك بحجة وشبهة ﴿ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا ﴾ أي ولا يقولون قولاً يعارضون به الحق إلا أجبناهم في هو الحق في نفس الأمر وأبين وأوضح وأفصح من مقالتهم، قال ابن عباس: ﴿ وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ ﴾ أي بما يلتمسون به عيب القرآن والرسول » (٢).

(١) آفاق الحوار بين الحضارات والثقافات، أ.د/ عبدالستار السعيد: ص(٩٥-٩٦).

(٢) الحوار مع أهل الكتاب، د/ خالد القاسم: ص(١١٦).



والشواهد في كتاب الله تعالى على إيراد الشبهة والجواب عنها كثيرة جدًّا.

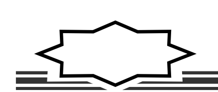
« ومن شبههم التي ردّ عليها القرآن إنكارهم للرسالة بحجّة أن محمدًا ﷺ يمشي في الأسواق ويأكل الطعام كما قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ ﴾ [الفرقان:٧]، فردّ الله عليهم: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ .. ﴾ [الفرقان:٢٠]، ومن ذلك محاجة موسى وفرعون، فكان فرعون يطعن في رسالة موسى، وكان موسى عليه السلام يرد على شبهة فرعون، ومن ذلك ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الشعراء:٢٣-٢٤]، ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الإسراء:١٠١-١٠٢]، وفي الردّ على الشبه إسكات للطاعنين، وبيان للحائرين.

ولكن يشترط على من تولّى الرد على شبهة أهل الكتاب إحكام الرد لئلا يقرر الشبه ويعجز عن الرد، وذكر ابن تيمية: أن بعض الذين قرروا دلائل النبوة قد أوردوا من الشبهات والشكوك والمطاعن على دلائل النبوة ما يبلغ نحو ثمانين سؤالاً، وأجابوا عنها بأجوبة لا تصلح أن تكون جوابًا في المسائل الظنية، بل هي إلى تقرير شبه الطاعنين أقرب منها إلى تقرير أصول الدين، وهم كما مثلهم الغزالي وغيره بمن يضرب شجرة ضربًا يلزلزها بها، وهو يزعم أنه يريد أن يثبتها[(١)] »[(٢)].

وقد يضطر المحاور المسلم للخوض في رد شبهات يطرحها عليه المعارض، لا يرتجي من ورائها كبير فائدة سوى تحصين السامعين والمشاهدين من تلقف هذه الشبهات، وربما كانوا أعدادًا غفيرة حول العالم كما يحصل في بعض المناظرات

(١) الجواب الصحيح، لابن تيمية: (١/ ٧٦-٧٧).

(٢) الحوار مع أهل الكتاب أسسه ومناهجه، د/ خالد القاسم: ص(١١٦).



الفضائية، فيتعين بيان الحق وكشف الشبهة [١].

قال الآجري: « إن من صفة العالم العاقل، الذي فقهه الله في الدين، ونفعه بالعلم، ألا يجادل، ولا يماري، ولا يغالب بالعلم إلا من يستحق أن يغلبه بالعلم الشافي، وذلك يحتاج إليه في وقت من الأوقات، إلى مناظرة أحد من أهل الزيغ ليدفع بحقه باطل من خالف الحق، وخرج عن جماعة المسلمين. فتكون غلبته لأهل الزيغ تعود بركة على المسلمين، على جهة الاضطرار إلى المناظرة، لا على الاختيار » [٢].

رابعًا: إصلاح الصور النمطية المشوّهة عن الإسلام في الغرب:

فلقد أضحى الإسلام في عقلية الغربي دينًا دمويًا إرهابيًّا، وشوّهت معالم هذا الدين، وأخفت محاسنه، وأصبحت هذه النظرة السوداء للإسلام من القضايا البدهيّة عند الغرب، وانتشر ما يُعرف بالإسلام قويًا [٣]، وذلك بسبب الترسانة الإعلامية الغربية وسيطرة الصهيونية عليها، والتي تستهدف تشويه الإسلام والعروبة، وأيضًا من التهم الباطلة لهم مثل التخلف الحضاري، والهمجية، والدموية والإرهاب .. ونحو ذلك من التهم الزائفة الباطلة.

ولهذا كان الحوار لإزالة هذه الغشاوة عن أعين الغربيين الجاهلين بحقائق ومحاسن هذا الدين واجبًا على المسلمين، ولا بدّ أن تتخذ عدّة وسائل وآليات تتم من خلالها هذا الحوار مثل:

١- إنشاء قنوات فضائية باللغات الأجنبية، وكذلك الإذاعات ونحوها من وسائل الإعلام المرئية والمقرءوة لعرض الصور الصحيحة عن الإسلام.

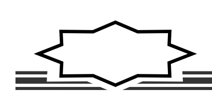
٢- تبادل الأساتذة والباحثين المنصفين بين الجامعات العربية والأوروبية للاحتكاك المتبادل والتعرّف عن كثب.

---

(١) انظر: الحوار في القرآن والسنة: أسسه وأهدافه، د/ أحمد القاضي: ص(١٦٩).

(٢) أخلاق العلماء، للآجري: ص(٥٦).

(٣) انظر في بيان ذلك: الإسلام وتهمة الإرهاب، أ.د/ حسن عزوزي.



٣- صياغة عدّة مشاريع بحثية حول « حوار الحضارات » يشارك فيها باحثين من المسلمين والأوروبيين المنصفين الباحثين عن الحق، لا الكائدين المغرضين.

٤- عقد ندوات ومؤتمرات دولية حول هذه الموضوعات المتعلّقة بالإسلام والغرب وتكون المشاركة فيها من الطرفين، ويتم نشر هذه البحوث بعدّة لغات وعبر القنوات الإعلامية.

٥- الردّ على المستشرقين وعلوم الأنثروبولوجيا الثقافية وعلوم الإنسان، والكشف عن منشأ هذه الصورة الظالمة للإسلام والتي أصبحت أحكامًا شائعة عند الناس.

٦- تكثيف وزيادة المواقع على الإنترنت، والتي تعرض الصورة الصحيحة المشرقة عن الإسلام، بعدّة لغات عالمية.

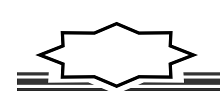
ولا شك أن للحوار الهادف دوره البارز عبر هذه الوسائل لإظهار الصورة الحقيقية للإسلام دين الله وشريعته الخاتمة، ويأتي هدف إظهار سماحة الإسلام هدفًا ساميًا من أهداف الحوار، وهذا سيتضح بإذن الله تعالى في الهدف التالي.

خامسًا: إظهار وبيان سماحة الإسلام:

من أهم أهداف الحوار: الكشف عن سماحة الإسلام، وإظهار عظمة هذا الدين الرباني، ولو عرف الغربيون ما في هذا الدين من سماحة واحترام لحقوق الإنسان، لدخلوا في دين الله أفواجًا، ولكن الحقيقة مغيبة عنهم.

إن الإسلام رغم كونه دين الله حقًّا، وقد قامت على صحته وسلامته من العوج البراهين النقلية والعقلية، إلا أنه لا يريد أن يفرض نفسه بالقوة والإكراه، قال تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦ ﴾ [البقرة:٢٥٦].

وقال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ



بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الكهف:٢٩].

والآيتان تقرّران بصراحة تامة أن دين الله هو الحق المتفرد، ومع ذلك لا يجوز إرغام أحد على دخوله، وعلى كل عاقل أن يختار، ثم يتحمل مسؤولية اختياره في الحالين، شريطة ألا يحاد الحق أو يعاديه باللسان أو باليد.

ويقول تعالى مخاطبًا رسوله وأمته من بعده حاكمين ومحكومين: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [يونس:٩٩].

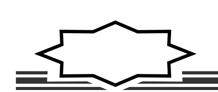
ولذلك عاش في ظل دولة الإسلام العالمية كل الأجناس بأديانهم ومذاهبهم، وعاش مع أمته اليهود والنصارى والمجوس وغيرهم قرونًا متطاولة، لا يُرغمون على ترك دينهم أو عوائدهم رغم تفرد المسلمين -يومئذٍ- بالسلطان والسيادة العالمية، بل حفظت لهم دماؤهم، وأموالهم، وأعراضهم، وأديانهم بأمر الله ﷻ، لا من باب المناورات السياسية، أو المصالح الوقتية.. إلخ.

ودليل ذلك: أن الله تعالى قد أكد الوصية بالتزام الحوار، والدعوة، والبلاغ والبيان، الذي يتم به التعليم والتفهيم، حتى بعد فرض (الجهاد)، وبعد أن أصبح للإسلام قوة حربية مؤثرة، لما يعلمه ﷻ من أن الحوار هو مدخل الإيمان، لذلك فتأثيره أبقى وأقوى، بل إن القوة الحربية نفسها هي لتوفير الأمان للناس ليتحاوروا بلا إكراه، لذلك ظل القرآن الكريم بعد فرض (الجهاد) يتنزل بالدعوة والبلاغ، والحوار والبيان، خاصة مع (أهل الكتاب) السابقين.

وقد تقدّم كيف حاورهم الرسول ﷺ، حتى في التوحيد الذي هو أصل الأصول الدينية، بعد فرض الجهاد، وقد قال تعالى خطابًا لنبيه ﷺ في هذه المرحلة:

﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ ... ﴾ [آل عمران:٢٠].

أي فالواجب عليك -إن عصوك- البلاغ، وليس الحرب؛ لأن مجالها هو ردّ



العدوان، وليس فرض الإيمان. (١)

ولا بد من الإشارة إلى تنبيه هام، فالبعض حين يحاور الغرب عن سماحة الإسلام يقدم التنازلات عن بعض الثوابت والمسلمات، كالجهاد، والحدود، وغيرهما من القضايا التي تعاني من هجوم صارخ من منظمات وهيئات وأفراد.

فلا تعارض في الحوار لإظهار سماحة الإسلام، والتمسك بهذه الثوابت التي إنما فرضت لترسخ سماحة الإسلام وحرصه على الأمن الشامل في كل مفهوماته(٢).

سادسًا: المعذرة إلى الله في أداء الأمانة والشهادة على الناس:

إنّ المؤمن الصادق يعمل في الدعوة إلى الله راجيًا الثواب من الله لا يريد من أحدٍ جزاءً ولا شكورًا، ولا يضيره ألا يجد لعمله ودعوته أثرًا في الحياة الدنيا، بل يكل أمر النتائج إلى الله تعالى، ومن هنا فالداعية يدعو ويحاور لأنه يؤدي واجبًا يعذر بأدائه أمام الله رب العالمين، ولو لم يؤدّه كان محاسبًا بين يدي الله ﷻ.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [الأعراف:١٦٤].

ويقول الرسول ﷺ: « لا أحد أحب إليه العذر من الله تعالى، من أجل ذلك بعث المبشرين والمنذرين » (٣).

وبهذا يتميز سلوك المسلم الحضاري، الذي يحصر على هداية الناس لا طلبًا لربح مادي أو مصلحة شخصية، ولا يدور في فلك عصبية ولا قومية ولا حزبية، وإنما هو صاحب مبدأ وفكر ورسالة(٤).

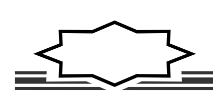
---

(١) آفاق الحوار بين الحضارات والثقافات، أ.د/ عبدالستار السعيد: ص(١١٢).

(٢) انظر: الشرق والغرب منطلقات العلاقات ومحدداتها، أ.د/ علي النملة: ص(١٥٢-١٥٣).

(٣) رواه البخاري ومسلم، واللفظ للبخاري.

(٤) انظر: حوار الحضارات وطبيعة الصراع بين الحق والباطل، د/ موسى الإبراهيم: ص(٢١٤-٢١٥).



وهي رسالة هذه الأمة الوسط التي أشهدها الله تعالى على الناس، والتي زكاها الله تعالى فربيت على أصدق العقائد، وأرقى الأخلاق والآداب والفضائل، وهي - بهذه المواصفات التي استخلفت في الأرض مكان العصاة البغاة من بني إسرائيل، أو عبدة المسيح[1].

قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ...﴾ [البقرة:١٤٣].

« وإذا كان تعبير الشهادة على الناس تعبيرًا غنيًا جدًا بجملة من المعاني، فإن المعنى المباشر الأبرز من بين تلك المعاني هو معنى البيان الذي يتجه به المسلمون إلى سائر الناس على سبيل التبليغ لما يتضمنه دينهم من قيم روحية ومادية »[2].

سابعًا: إقامة العدل ودفع الظلم:

إن العدل في الإسلام عماد الخير والصلاح، وعماد النظام وتمام الملك والسلطان، وهو الأساس الذي أقام الله عليه الكون، ليس الإنسان مع الإنسان فقط، وإنما الإنسان مع ربه ونفسه وأمته ومع البشر جميعًا، بل مع ما في الكون من نبات وحيوان وجماد، وكثيرًا ما حكى علينا الله في القرآن مصير الأمم التي حرمت من إدراك العدل وتفشي فيها الظلم حتى أدركها الفناء والهلاك.

وإن من أعظم أهداف الحوار تحقيق العدل ورفع الظلم، فلا يمكن للبشر- وللعالم أن ينعم بالأمن والاستقرار مع غياب العدل.

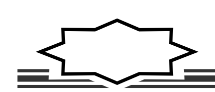
وما نجده اليوم في العالم من سفك للدماء وانتهاك للأعراض والأموال إنما هو ناتج عن عدم العدل، وللأسف أكثر من يصطلي بالدمار والقتل هم المسلمون، وما

---

(١) آفاق الحوار بين الحضارات والثقافات، أ.د/ عبدالستار السعيد: ص(٨٠).

(٢) الآفاق الحضارية للوجود الإسلامي بالغرب، أ.د/ عبدالمجيد النجار: ص(١٠٤).

وانظر للتوسع: مصطلح الشهادة على الناس في القرآن الكريم وأبعاده الحضارية، د/ عبدالمجيد النجار.



يحدث في فلسطين والعراق وأفغانستان وغيرها من بلدان المسلمين لا يخفى على ذي بصيرة وعقل.

وإن هذه الأحداث لتولّد في نفوس المسلمين الكراهية والبغضاء نحو الغرب، لأنه يقف وراء هذا الظلم، والغريب حين يتغابى بعض مفكري أمريكا فيتساءلون لماذا يكرهوننا ؟!

ومن مظاهر العدل في الإسلام: أن الله تعالى يأمرنا بأن لا نحكم على أهل الكتاب بحكم واحد، بل نفرق بين الظالم والمكابر والمعاند، وبين المنصف والعادل وأصحاب المروءة والحريص على الوفاء بالوعد وأداء الأمانة، فلا ينبغي أن نصدر حكمًا عامًا يشمل الظالم والعادل، والمنصف وصاحب الهوى.

قال تعالى: ﴿ ۞ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ [آل عمران:١١٣-١١٤].

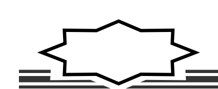
وقال تعالى في موضع آخر: ﴿ ۞ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [آل عمران:٧٥].

ولهذا من أهم ما يتحاور فيه مع المنصفين من الغرب هو رفع الظلم عن إخواننا المظلومين في شتى بقاع الأرض، وبحث كافة السبل والآليات لمساعدتهم في استعادة حقوقهم.

« ولقد نص إعلان حقوق الإنسان على أن من حق الإنسان مقاومة الظلم، لكنه لم يرسم لذلك نظرية ولا وضع له الخطوط والآليات، كما أنه يجعل ذلك مجرد حق، بينما يرتفع به الإسلام إلى مستوى الوجوب »(١).

---

(١) مقومات النظام السياسي الإسلامي وصياغة علاقته مع الآخر، أ.د/ أحمد عامر: ص(٧٧).



ثامنًا: الفهم المتبادل بين الإسلام والغرب:

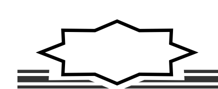
العيش على رقعة واحدة يفرض التضامن من أجل تحقيق سعادة الإنسانية جمعاء، ومبنى هذا الأمر على فهم الآخرين على ما هم عليه في حقيقة الأمر، وهذا من معاني الشهادة على الناس، فالشاهد لا بدّ أن يكون عارفًا بحال المشهود عليهم ليستعين بذلك على تبليغهم.

وتأسيس الفهم المتبادل موضوعيًا يستدعي القراءة المتأنية لمنتج المخالف وفق ما هو عليه في مصادره ووفق آليات الفهم والتبليغ التي يتبناها، وتحقيق هذا الغرض يفرض تجاوز مجموعة من المعوقات، يمكن تلخيصها في النقاط الآتية:

١- قراءة المخالف من خلال مصادره، وبهذا نقطع الطريق على الوساطة في التبليغ، ونمنع التوظيف السياسي والإيديولوجي للأفكار من قبل الأفاكين والمعاندين لهذه الفكرة أو تلك، فقد كان الوسطاء -بجميع أصنافهم- وما زالوا سببًا في منع الفهم المتبادل بغرض التسييس وتذكية الصراع، وقد تبنى هذا المسلك بعض كبار المثقفين المندرجين في إطار رؤية كونية خاصة، تعمل على توظيف الأفكار توظيفًا اقتصاديًا وحضاريًا يناقض طبيعة البشرية والحضارات الإنسانية، ويعرضها إلى التفتت والتشرذم بسبب تأسيسها النظري للتناحر كمخرج مهم للأزمة الحضارية الراهنة، وقد يتلبّس الصراع بأسماء مختلفة، كنهاية التاريخ، كأنه يمثّل منتهى الخبرة الإنسانية في عالم الأفكار، فلا مزيد عما جادت به قرائحهم، وبالتالي يجب التوقّف عن التفكير في مصير الإنسانية.

فهل في عالم الأفكار رجعية كهذه؟ وهل في عالم الحضارة جبرية أسوأ منها؟

٢- بناء القراءة على ما يتبنّاه السواد الأعظم من المجموعة المدروسة، وبذلك نقطع الطريق على المتصيّدين للتشويه من أقوال القلة القليلة، أي الابتعاد عن التأصيل لفكرة بما نقل عن المجموعات الفرعية الشاذة منها، إذ القاعدة في الفكر الإنساني أن الشاذ يحفظ ولا يقاس عليه، قال أحد أسلافنا « القاعدة



الكلية لا تقدح فيها قضايا الأعيان ونوادر التخلّف »[1].

٣- أن تكون المقارنة بين القضايا المتجانسة، فلا يجوز موضوعيًا أن نقارن أصلاً في مجموعة حضارية بفرع عند مجموعة حضارية أخرى، ذلك أن الموضوعية تفرض أن يقابل الأصل بالأصل والفرع بالفرع، والنظري بالنظري والعملي بالعملي، وهكذا دواليك في سائر مضامين أفكار المتحاورين، ويسجل بهذا الصدد -للأسف- التعدي على هذه القاعدة بشهادة العقلاء قاطبة، وخاصة حين تعلّقه بقضايا المستضعفين على تنوّع انتماءاتهم الحضارية والثقافية.

٤- أن تكون القضايا المتحاور حولها متجانسة من حيث الطبيعة، فلا يقارن أمر نظري بآخر عملي أو العكس، إذ يتضمن تبني هذا المسلك مؤشرات الإقصاء والمكابرة من جهة، والقصد في التلبيس بالنظر إلى المآل أو الحال من جهة أخرى.

فإذا تيسّرت هذه الظروف أمكن بعدها الحديث عن الحوار الموضوعي الذي يتوخى منه أصحابه الفهم المتبادل، فكلما تحقق الفهم المتبادل المعترف به من قبل أطراف الحوار أمكن صناعة جو إنساني مستعد للتفاهم.[2]

تاسعًا: التعاون لتحقيق مصالح مشتركة، والدفاع عن القيم والمبادئ الفاضلة:

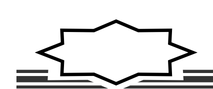
إذا تحقق التفاهم المتبادل بين أطراف الحوار، أمكن حينئذٍ التعاون لتحقيق المصالح والمنافع المشتركة للجميع.

ولقد نفذ الرسول ﷺ مبدأ التعاون الدولي عندما جاء إلى المدينة فعقد مع اليهود حلفًا أساسه التعاون على البرّ، وحماية الفضيلة ومنع الأذى، وأكد ذلك بالمواثيق، ولكن اليهود نقضوا حلف التعاون، ودبّروا الأمر على المشركين ضد النبي ﷺ، وكان أساس هذا التعاون أن يتضافروا على دفع الاعتداء وإقامة الحق، أو بعبارة عامة ما يسمى في هذا العصر بـ« التعايش السلمي ».

---

(١) الموافقات للشاطبي: (١/ ٢٥١)، وانظر أيضًا: (٢/ ٦٣-٦٤).

(٢) حوار الحضارات ومؤهلات الإسلام في التأسيس للتواصل الإنساني، أ.د/ عمار جيدل: ص(٥٠-٥١).



وكان النبي ﷺ يعقد المعاهدات مع القبائل العربية لإيجاد تعاون إنساني لإعلاء المعاني الإنسانية، وكان يحث على كل تعاون على الخير ويؤيده، ويرد على كل تعاون على الشر ويحاربه، وقد كان ﷺ من مبادئه التعاون على نصرة الضعيف، وقد حضر وهو شاب في الخامسة والعشرين من عمره حلفًا لبعض أشراف قريش عقد في دار عبدالله بن جدعان تعاقدوا فيه لينصرن الضعيف على القوي، فسرّ ﷺ لذلك سرورًا ظهرت آثاره من بعد، فقد قال الهادي الأمين:

« لقد حضرت بدار عبدالله بن جدعان حلفًا ما يسرني به حمر النعم ولو دعيت به في الإسلام لأجبت ».

ويؤكد الشيخ بهجة البيطار الدمشقي -رحمه الله- على ضرورة التعاون فيقول:

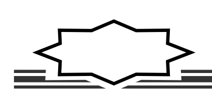
« كنت أدعو إلى التعاون بين المسلمين والمسيحيين ... لأننا ننشد من ورائه الخير العميم لهذه البشرية المهددة بالفناء بما أحدثت المدنية المادية في الشرق والغرب من القنابل الذرية والهيدروجينية وغيرهما، وإن الحرب إذا وقعت -لا قدّر الله- يكون وقودها هذا العالم المعذب، وتكون من ورائها النهاية الأخيرة لعالمنا هذا، وإن أول عمل يدعونا إليه الواجب الإنساني الخالص، هو نصرة الضعفاء والمظلومين في الأرض، وهذا لا يتم إلا بالتضامن والتعاون بين أهل الملل السماوية » [1].

نعم إن هناك تحديات ومخاطر تهدد الجميع، كالإباحية والفساد الخلقي، والذي أدى إلى انتشار أمراض جنسية فتاكة كالإيدز وغيره من الأمراض القاتلة.

كما أن هناك تحديات تواجه كيان الأسرة وتماسكها، وكذلك المخدرات بكل أنواعها تفتك بالشباب في شتى البقاع فأين ندوات الحوار مع الغرب حول هذه القضايا التي تشكل خطرًا على جميع الدول.

إن هناك موضوعات أخرى جديرة بالحوار مثل الحفاظ على البيئة، ومكافحة البطالة، والفقر، والجهل، والفتن الطائفية، وحروب الإبادة، والتطهير العرقي،

(١) انظر: الإنجيل والقرآن في كفي الميزان، بهجت البيطار: ص(٢٣).



وذاك الوافد الجديد باسم العولمة، ونحو ذلك من الموضوعات والتي تعتبر همًا مشتركًا بين الجميع.

« والواقع يفرض على المفكرين في مصير الإنسانية الاتفاق على الحد الأدنى من عناصر التوافق الإنساني يكون أشبه بالكمنولث الحضاري، والأمر ليس مستبعدًا وخاصة في ظل الرغبة الجامحة في فرض العولمة في طبيعتها الأمريكية المجسدة للصدام والصراع كمرحلة ضرورية في تاريخ الإنسانية »(١).

عاشرًا: درء المفاسد عن المسلمين:

يواجه المسلمون في بلدان شتّى حملات تنصيرية كثيفة، تدعمها الدول الغربية، مستغلة الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية في تلك الدول، فيأتي الحوار لدعم المسلمين معنويًا تجاه هذه الحملات الشرسة، فيولد ضغطًا على المنصرين وفضحًا لأساليبهم وطرقهم في تنصير المسلمين، أو تخفيفًا لنشاطهم التنصيري، وكشفًا لعقيدتهم الباطلة التي يخدعون البسطاء والعوام بها.

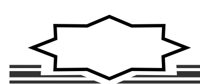
وقد نجح بعض الدعاة المتمرسين في الحوار مع المتنصرين في كسر شوكتهم، وكشف عقائدهم، وإفحامهم في مناظرات حاشدة مشهودة، فكان في ذلك إعزازًا للمسلمين وتثبيتًا لهم في دنهم، وتحصينًا للمنخدعين.

وفي كتاب الله تعالى تحذير لأهل الكتاب من الصد عن دين الله، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [آل عمران:٩٩].

وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ [آل عمران:٧١].

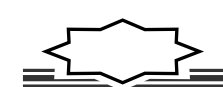
---

(١) حوار الحضارات ومؤهلات الإسلام في التأسيس للتواصل الإنساني، أ.د/ عمار جيدل: ص(٥٥).



كما يستهدف المحاور المسلم تحييد خصمه إذا لم يتمكن من كسبه، وهذا بلا شك من المكاسب الكبيرة، فإن من لم يستطع كسبه ليكون عونًا على الخير، فلا أقل من إخماد شرّه وكفّ أذاه وفساده [1].

(١) انظر: الحوار مع أهل الكتاب أسسه ومناهجه، د/ خالد القاسم: ص(١١٧).



محاذير الحوار مع الغرب

تمهيد:

إن المسلم المحاور الحصيف لا يمكن أن يخاف من الحوار، ما دام متحليًا بمواصفات المحاور ومحققًا لشروط الحوار وضوابطه وآدابه، والمقصود أننا لا نخشى من الحوار؛ لأن لدينا الشريعة الخاتمة الصالحة لكل زمان ومكان، والحضارة التي جربتها البشرية عبر قرون عديدة، فوجدتها شريعة العدل والإحسان، فليس في ديننا ما نخشى عليه من الحوار، إنما الخوف من الأخطاء التي يقع فيها المحاورين باسم الإسلام فليس الخطأ في الحوار، إنما الخطأ في المتحاورين الذين وقعوا في هذه المحاذير بعلم بعلم أو بجهل، فحمَّلوا الإسلام ما لا يحتمل، فلا هم للإسلام نصروا ولا لشُبهات الغرب كسروا، ولا على تساؤلاته ردوا ! فلأنفسهم خذلوا .

أما الإسلام فهو عزيز بعزّة الله، وحفظه؛ لأنه دينه الذي ارتضاه، فلا يتطرق إليه الضعف ولا الخوف ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ [الحجر:٩]، وسأذكر فيما يلي أهم هذه المحاذير التي ينبغي على من يدخل في الحوار الحذر من الوقوع فيها:

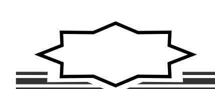
أولاً: الولاء للغرب وعدم البراءة من الكفر:

إن معتقد الولاء والبراء من العقائد اليقينية، التي دلت عليها النصوص المستفيضة القطعية في الكتاب والسنة، وأجمعت عليها الأمّة.

كما أن هذا المعتقد مرتبط بأصل الإيمان، فلا إيمان بتاتًا بغير "ولاء" ولا "براء"، ولا يمكن أن يوجد إسلام أو مسلمون بغيرهما.

فالولاء والبراء في معتقد أهل الإسلام هو حب الله تعالى، ورسوله ﷺ، ودينه، والمسلمين، ونصرتهم، وبغض الطواغيت التي تُعبد من دون الله، والكفر، والكافرين، وعداوتهم[1] .

(١) أقوال السلف في بيان أهمية الولاء والبراء كثيرة معلومة، وقد ألفت رسائل علمية منها: الولاء =



ومن أخطر المحاذير التي وقع فيها من يدعو للحوار مع الغرب: الوقوع في الولاء مع من يحاورهم، والتعبير بالحب والودّ لهم، يقول الشيخ أحمد كفتارو: « ليتحابب أهل الأديان السماوية، ويناصر بعضهم بعضًا »[1].

ويقول الشيخ محمد أبو زهرة: « إن المودّة ليست واجبة بالنسبة لأبناء الأمة الواحدة، بل هي واجبة للمخالفين في الدين، ما داموا لم يعتدوا على المسلمين ولم يعادوهم ... وإذا كانت المودّة هي الرابطة التي تربط بين الإنسان، بحكم الإسلام وسائر الأديان، فإن الرحمة تنبعث منها »[2].

ووجه الوقوع في هذا المحذور هو عدم الجمع بين النصوص الشرعية التي تأمر بالبر والقسط والإحسان إلى أهل الكتاب، والسماحة معهم، وبين النصوص الشرعية الأخرى التي تأمر بالبراءة من الكافرين وعدم مودتهم.

إذ لا تعارض بينهما، فطالما أن الولاء والبراء من أسس الإسلام العظام، فلا بد أن تصطبغ بصبغة الإسلام الكبرى، وهي الوسطية والسماحة والرحمة، فمع أمر الله تعالى بعدم مودّة الكافرين جاءت النصوص الشرعية تأمر بما يلي:

١- لا يجبر أحد من الكفار الأصليين على الدخول في الإسلام.

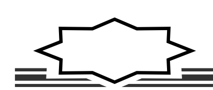
٢- حفظ العهد الذي بيننا وبينهم، إذا وفّوا بعهدهم وذمتهم.

٣- أن لأهل الذمة التنقل في أي البلاد شاؤوا، إلا الحرم، ولهم سكنى أي بلد شاؤوا من بلاد الإسلام أو غيرها، حاشا جزيرة العرب.

والبراء في الإسلام: د/ محمد سعيد القحطاني، والموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية: محماس بن جلعود، ومن الأبحاث الرصينة والتي خرجت مؤخرًا بحث (الولاء والبراء بين الغلو والجفاء في ضوء الكتاب والسنة) د/ حاتم بن عارف الشريف.

(١) الدعاة والدعوة الإسلامية المنطلقة من مساجد دمشق: (١/ ٥٢٩) نقلاً عن: دعوة التقارب بين الأديان، د/ أحمد القاضي: (٤/ ١٤٤٦).

(٢) تنظيم الإسلام للمجتمع، محمد أبو زهرة: ص(٥١).



٤- حرمة دماء أهل الذمة والمعاهدين، إذا وفوا بعهدهم وذمتهم.

٥- الوصية بأهل الذمة، وصيانة أعراضهم وذمتهم، وحفظ كرامتهم.

٦- أن اختلاف الدين لا يلغي حق ذوي القربى.

٧- أن البر والإحسان حق لكل من لم يقاتل المسلمين أو يظاهر على قتالهم. [١]

كل هذا يبين مدى سماحة الإسلام مع المخالفين في الدين، لكن لا يعني هذا مودّتهم ومحبتهم لكفرهم.

يقول سيد قطب: « إن سماحة الإسلام مع أهل الكتاب شيء، واتخاذهم أولياء شيء آخر، ولكنهما يختلطان على بعض المسلمين الذين لم تتضح في نفوسهم الرؤية الكاملة لحقيقة هذا الدين ووظيفته » [٢].

ولهذا لا بدّ لمن يدخل في هذه الحوارات أن يتمثّل بوسطية الإسلام[٣] دون إفراط أو تفريط، حتى يؤتى هذا الحوار ثماره التي تعود على الإسلام والمسلمين بالعزّ والتمكين.

ثانيًا: الحذر من الوقوع في "دعوة التقريب بين الأديان" :

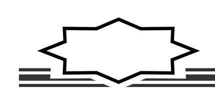
فلقد دلّت النصوص الشرعية القاطعة على بطلان «دعوة التقريب بين الأديان»؛ لأن دين الله واحد هو الإسلام الذي ابتعث الله به محمدًا ﷺ، وما سواه إما باطلٌ أو منسوخ. فمن رام التقريب بينه وبين غيره، فقد رغب عن ملة إبراهيم، وابتغى دينًا غير دين الإسلام، وطعن في صدق محمدٍ ﷺ وعموم رسالته، وأنكر هيمنة القرآن على الكتب السابقة، ونسخه لأحكامها، وخالف إجماع المسلمين، واتبع غير سبيل المؤمنين

---

(١) انظر للتوسع في ذلك: الولاء والبراء بين الغلو والجفاء في ضوء الكتاب والسنة، د/ حاتم الشريف.

(٢) في ظلال القرآن: (٢/ ٩٠٩).

(٣) انظر في بيان شيء من هذه الوسطية: الوسطية مرتكز راشد لحوار الثقافات، أ.د/ حامد بن أحمد الرفاعي: ص(٢٧) وما بعدها.

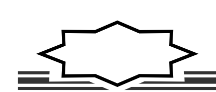


من الصحابة والتابعين، ووالى أعداء الدين، واتبع أهواءهم، وسقط في الفتنة عن بعض ما أنزل الله، وداهن في دين الله، ولبّس الحق بالباطل، ووقع في الصدّ عن سبيل الله. وكلها لوازم لا محيد لدعاة التقريب عنها. وفسادها معلومٌ من الدين بالضرورة. وفساد اللازم يدل على فساد الملزوم، وبطلان الفرع يعود على الأصل بالإبطال.

وقد دلّ الواقع العملي المشاهد خلال دعوة التقريب بين الأديان في العقود الأربعة المنصرمة على ظهور بعض النتائج والآثار الملموسة، الناجمة عن تجربة التقريب، كالتسوية بين كلام الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، القرآن، والكتب المحرفة المنسوبة إلى أنبياء الله، التي بأيدي اليهود والنصارى اليوم، ووصفها جميعًا بـ«مقدسة» و«سماوية» و«كلام الله». وكذلك التسوية بين بيوت الذكر والرحمة؛ المساجد، وبيوت العذاب والشرك، من معابد اليهود والنصارى والمشركين، ومشاركتهم في صلواتهم، واحتفالاتهم الدينية والفكرية، وإقامة المؤسسات البحثية المشتركة بين الأديان، بغرض تنقية المناهج الدراسية، والوسائل الإعلامية من النقد المتبادل، ورفع الأحكام العقدية والشرعية في شأن أهل الكتاب، واستلال اعترافات صريحة وضمنية من نظرائهم المسلمين على صحة دينهم وكتبهم، وإعادة عرض الإسلام بصورة مشوهة خداج، كالتصوف الباطني. ومع ذلك كله، لم يحد النصارى قيد أنملة عن معتقداتهم، فلم ينتهوا عن قولهم «ثلاثة»، ولا عن غلوهم في الدين، وأصرّوا على إنكار نبوة محمدٍ ﷺ، وعلى المضيّ في تضليل الخلق بما يسمونه «التبشير»، مستغلين الفاقة المعيشية، والصحية، والأمنية، لكثير من شعوب العالم الثالث -وغالبيتهم مسلمون- ولتحقيق مكاسب جديدة، ومواطئ أقدام لمنصريهم، وإقامة كنائسهم، تحت شعار التقارب والحوار والتسامح. وفي الوقت ذاته لا يكفون عن موالاة بعضهم بعضًا وموالاة اليهود والمشركين على الظلم والعدوان ضد المسلمين، وإحياء مطامعهم القديمة في القدس. وكل هذه الآثار والنتائج الواقعية، ثمار فجّة لدعوة التقريب، شواهدها ماثلة لا يمكن إنكارها.[1]

---

(١) دعوة التقريب بين الأديان، د/ أحمد القاضي: (٤/ ١٦٣٦-١٦٣٨)، وانظر: فتوى اللجنة الدائمة =



ثالثًا: استعلاء المحاور الغربي وشعوره بالفوقية وشعور المحاور المسلم بالدونية:

إنَّ التفوق التقني والعلمي والعسكري والاقتصادي للغرب جعله يبدو أكثر تقدمًا وتحضرًا على معظم شعوب العالم الإسلامي، بيد أن التقدم الفكري والحضاري حقًا هو للإسلام عقيدة وشريعة، ولو تمسك المسلمون بهدي دينهم لمكّن الله لهم في الأرض ونصرهم نصرًا مبينًا.

هذا التقدم التقني والعلمي والعسكري والاقتصادي جعل بعض المحاورين الغربيين يتحدث ويحاور بمنطق القوة والإملاء والوصاية، بينما كان موقف بعض المحاورين المسلمين، ضعيفًا ودونيًا.

ولا شك أن المحاور المسلم، ينبغي أن يكون معتزًا بدينه وحضارته، ولا يقف موقف الهوان كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران:١٦٣].

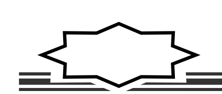
والعلو هنا مرتبط بالإيمان، لا العلو المرتبط بالغطرسة والعرقية والعنصرية، بل العالي هنا هو المؤمن أين يكون، وكيف يكون، ومتى يكون، وإذا تحقق الإيمان الصادق لدى المحاور تحقق لديه العلو الذي يفرض نفسه على الآخرين[(١)].

إن وجود التكافؤ بين الطرفين من أهم عوامل نجاح الحوار، فإذا كان أحد طرفي الحوار يملي على الآخر الشروط والمطالب والآخر يستمع، فلا شك أن هذا ليس حوارًا، بل استسلام وانبطاح، وذلة وهوان، وحينئذٍ يكون هذا الحوار محذورًا، لأن الذي يمثل الإسلام فيه غير مؤهل لأن يتكلم باسم الإسلام، حيث إنه غير مقتنع بالإسلام منهجًا للحياة، أو أنه ليس لديه التصور والعلم بشرائع الإسلام وعقائده، فيقنع به الآخرين، ويرد على إشكالاتهم والشبهات التي ترد عليه، فهو كالذي يخوض

=

للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية رقم (١٩٤٠٢) في ٢٥/ ١/ ١٤١٨هـ، وتنص على تحريم الدخول في مؤتمرات "وحدة الأديان".

(١) انظر: الحوار في القرآن الكريم، محمد كمال المويل: ص(٢٥٦).



في يمٍّ لا يحسن السباحة فيه !

ومن المظاهر الجلية مؤخرًا في شعور الغرب بالفوقية والاستعلاء، هو ذلك الخطاب الذي كتبه ستون من كبار المثقفين الأمريكيين، حيث أصدروا في فبراير ٢٠٠٢م على إثر أحداث (١١سبتمبر) بيانهم المشهور تحت عنوان: « لماذا نخوض الحرب؟ » وهو عبارة عن رسالة موجهة إلى المسلمين خاصة، ادَّعوا فيه أنّ القيم الأمريكية أفضل القيم وأحقها بالكونية[(١)] !!

رابعًا: تقديم التنازلات عن الثوابت والمسلمات:

إذا كان المحاور الذي يتحدث باسم الإسلام ضعيفًا منهزمًا، أو غير مؤهل للحوار، فإنه لا يستغرب منه أن يقدم التنازلات، وسأجمل فيما يلي أبرزها:

١ – التنازل عن شيء من الدين أو أخذ شيء من دينهم لإتمام ديننا. يقول جمال الدين الأفغاني في خاطراته بعنوان "نظرية الوحدة":

« وجدت بعد كل بحث وتنقيب وإمعان أن أديان التوحيد الثلاثة على تمام الاتفاق في المبدأ والغاية، وإذا نقص في واحد منها شيء من أوامر الخير المطلق استكمله الثاني !! .. وعلى هذا لاح لي بارق كبير أن تتحد أهل الأديان الثلاثة مثلما اتّحدت الأديان في جوهرها وأصلها وغايتها »[(٢)].

وقد ظهر هذا بشكل واضح في مؤتمر الحوار بلبنان عام ١٩٧٠م إذ كتب مسيحي في التقارير في نهاية الحوار:

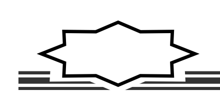
« وفي الحوار يكتشف الشخص المنتمي إلى عقيدة معينة وعلى الرغم من التزامه الديني أنه في احتياج إلى بعض النقاط التي تؤكد عليها بالأكثر عقيدة أخرى –

---

(١) انظر: تحليلاً نقديًا لهذا الخطاب في: « الحق الإسلامي في الاختلاف الفكري » طه عبدالرحمن، الفصل الثالث منه بعنوان: « تفضيل القيم الأمريكية » : ص(٩٩-١٢٥).

ومن الأجوبة السديدة والحكيمة: جواب د/ سفر الحوالي منشور على موقعه على الإنترنت.

(٢) دعوة جمال الدين الأفغاني في ميزان الإسلام، مصطفى فوزي: ص(٢٤٧).



وأوضح مسلم بعد ذلك- إن الإسلام وقد بدأ تاريخه من مركز قوة وانتصار يحتاج اليوم إلى الفكرة المسيحية عن الألم الذي هو طريق الانتصار » [(١)].

٢ - ومن التنازلات مشاركتهم فيما هم فيه من العبادات، وهذا ليس أمرًا جديدًا، فقد عرض هذا النوع على النبي ﷺ كما روى ابن إسحاق أن الأسود بن عبدالمطلب والوليد بن المغيرة، وأمية بن خلف، والعاص بن وائل السهمي -وكانوا ذوي أسنان في قومهم- اعترضوا رسول الله ﷺ وهو يطوف بالكعبة فقالوا: يا محمد هلم فلنعبد ما تعبد، وتعبد ما نعبد فنشترك نحن وأنت في الأمر، فإن كان الذي تعبد خيرًا مما نعبد كنا قد أخذنا بحظنا منه، فأنزل الله فيهم: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾ ﴾ [الكافرون:١-٦]. [(٢)]

وفي مؤتمر الحوار الذي عقد بلبنان عام ١٩٧٠م وحضره ثلاثة من الهندوس وأربعة بوذيين وثلاثة مسلمين وثمانية وعشرون مسيحيًا، كانت هناك فترات للعبادة المشتركة بقيادة واحد من الحاضرين [(٣)].

٣ - المداهنة في دين الله، وقد ذكر الله ﷻ ذلك في كتابه فقال: ﴿ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾ [القلم:٩]، قال ابن جرير الطبري: « معنى ذلك: ودّ هؤلاء المشركون يا محمد، لو تلين لهم في دينك بإجابتك إياهم إلى الركون إلى آلهتيهم، فيلينون لك في عبادتك إلهك » [(٤)].

ومن صور هذه المداهنة إقرارهم على دينهم وتصحيحه لهم، أو مدحه باعتباره دينًا صحيحًا، أو مساواته بالإسلام.

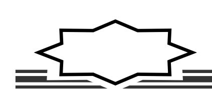
---

(١) الحوار بين الأديان، سليمان وليم: ص(٥٣-٥٤).

(٢) السيرة النبوية لابن هشام: (٢/ ١٠).

(٣) الحوار بين الأديان، سليمان وليم: ص(٤٩).

(٤) جامع البيان، للطبري: (٢٩/ ٢١-٢٢).



ومن هذه النماذج للمداهنة قول الشيخ محمد كفتارو: « ولئن ذهب بعض الناس إلى تأليه المسيح، فذلك لشدّة انعكاس نور الله في قلبه، كما تعكس المرآة الصافية نور الشمس »[(١)].

ولكفتارو قول آخر ظاهر في المداهنة حيث يقول: « قال لي قداسة البابا يوحنا بولس الثاني في أحد لقاءاتي الحوارية معه: إنني أقرأ القرآن كل يوم. فكان جوابي له: وأنا أحفظ الإنجيل »[(٢)].

٤ – تبديل وتعديل مناهج التعليم الديني في العالم الإسلامي، وحذف آيات الجهاد والولاء والبراء وأمثالها من المقررات الدراسية، في محاولة شرسة لإخراج أجيال مبتوتة الصلة بدينها وتاريخها، وتذوب في ثقافتهم الفاسدة.

بل قد بلغ بهم الحقد على هذا الدين في محاولات عديدة لتغيير الإسلام ذاته، وتحريف أصوله ومصادره من القرآن الكريم والسنة النبوية، ليتلاءم مع أهوائهم ورغباتهم، وما قصة القرآن الذي زعموه وافتروه وأسموه زورًا وبهتانًا «الفرقان» عنا ببعيد، ولا تزال حملاتهم لتبديل الإسلام مستمرة[(٣)].

جامسًا: عدم الجهر بالحق وبيان حقائق الإسلام ومبادئه العظام:

إن الحوار الموضوعي والحضاري ينبغي أن يجهر فيه بالحق، وأن لا يؤدي إلى المداهنة والدبلوماسية التي تغطي على الحقائق وعلى الخلافات، وتعمل على ترميمها ظاهريًا، وتلفيق اتفاق زائف[(٤)]، وقد ذم الله تعالى من يعمل على كتمان حقائق الدين

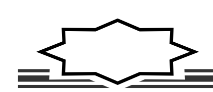
---

(١) سلام للبشر، كتفارو: ص(٥٨) نقلاً عن دعوة التقريب بين الأديان: (٤/ ١٤٥٦).

(٢) المصدر السابق: (٤/ ١٤٥٧).

(٣) كتب الكثير عن حملات أعداء الإسلام لتبديله، ومن هذه الأبحاث الرصينة الجادة: « الإسلام والمسلمون في مواجهة الحملات المعاصرة » أ.د/ عبدالستار السعيد: ص(٤٩) وما بعدها.

(٤) انظر: الحوار مع أصحاب الأديان مشروعيته وشروطه وآدابه، أ.د/ أحمد سيف الدين تركستاني: ص(٢٧).



فقال ﷻ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [البقرة:١٥٩].

إن من الأخطاء الفادحة التي يقع فيها بعض المحاورين باسم الإسلام هو التنصل والانسحاب من بعض حقائق هذا الدين العظيم مثل الجهاد، وعقيدة الولاء والبراء، وتشريع الحدود، وقوامة المرأة ونحو ذلك من الموضوعات التي يستشكلها الغرب.

فالاعتذار عن هذه المسلمات مزلق عقدي خطير على عقيدة هذه المحاور، لأنها مما يُعلم من دين الإسلام باضطرار وفي تشريعها رحمة للعالمين لأنها جاءت من لدن أرحم الراحمين وأحكم الحاكمين.

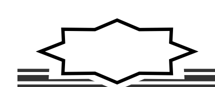
سادسًا: حصر الاهتمام بالحوار مع الغرب وإغفال الشعوب والأمم الأخرى:

من محاذير الحوار مع الغرب أن نوجه كل طاقاتنا وإمكاناتنا للحوار مع الغرب، من أجل رد الهجمة الشرسة ضد الإسلام والمسلمين التي يقودها الغرب الآن، وننسى شعوبًا ودولاً أخرى نحن مكلفون بإقامة الحجة عليها، وإبلاغها بمحاسن هذا الدين، كما أن بعض هذه الشعوب مرشح للتفوق المادي في المستقبل القريب مثل: الصين وكوريا واليابان والنمور الآسيوية، ودول أمريكا اللاتينية.

من الواجب ألا يشغلنا ردّ الفعل عن التفكير الاستراتيجي الأكثر اتساعًا، فالعالم اليوم ليس قاصرًا على الغرب، والأيام دول، كما يجب أن نتوجه بخطابنا إلى الشعوب الأخرى التي لم تأخذ حقها في الحوار معنا وسماع صوتنا، وذلك تحقيقًا لعالمية الإسلام من جهة، ولمصالح مجتمعاتنا المسلمة من جهة أخرى[1].



(١) انظر: تصحيح صورة الإسلام في الغرب، أ.د/ نبيل السمالوطي: ص(١١٢).



الخاتمــة

الإسلام دين الحوار، ولكنه حوار بلا «عنف» ولا «ضعف»، حوار وسطي لا إفراط ولا تفريط، حوار بلا «عنف» يوغر الصدر، ويصد الخصم عن الفهم، وينفر العقلاء عن الاستجابة.

وكذلك بلا «ضعف» من المسلم، يؤدي إلى التنازلات عن المسلمات أو إقرار الأخطاء، أو انتقاص الحقائق، أو محاولة الوصول مع الخصم إلى أنصاف الحلول فيما لا يقبل التجزئة، لأنه خداع وكذب من جانب، وإضرار بالخصم نفسه حينما تقدم له الحقيقة ناقصة مبتورة لرغبة أو لرهبة.

إنّ الغرب اليوم أحوج ما يكون لبيان حقائق الإسلام ومحاسنه العظام، فلقد أرهق نفسه روحيًا بهذا الدين المحرف والمبدّل والذي لم يشبع خوائه الروحي، ولم تفلح تلك المناهج العلمانية والمذاهب الفكرية المادية في سدّ هذا الرمق، فهو بحاجة إلى من يلقي إليه طوق النجاة لكيلا يغرق.

ومن واجبات ديننا العظيم إنقاذ هؤلاء الغرقى، فيأتي الحوار وسيلة من أنجع الوسائل الدعوية وأقواها تأثيرًا، لكن هذا الحوار ينبغي أن يحقق أهداف مشروعة حاولت في هذا البحث المتواضع أن أذكر أبرزها وهي:

١- الدعوة إلى الله تعالى .

٢- بيان الباطل وزهقه.

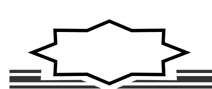
٣- رد الشبهات وكشف زيفها، وتحصين الآخرين من الوقوع فيها.

٤- إصلاح الصورة النمطية المشوهة عن الإسلام في الغرب.

٥- إظهار وبيان سماحة الإسلام.

٦- المعذرة إلى الله في أداء الأمانة، والشهادة على الناس.

٧- إقامة العدل ودفع الظلم.



٨- الفهم المتبادل بين الإسلام والغرب.

٩- التعاون لتحقيق مصالح مشتركة، والدفاع عن القيم والمبادئ الفاضلة.

١٠- درء المفاسد عن المسلمين.

ثم عطفت على هذه الأهداف بالمحاذير التي ينبغي للمحاور المسلم ألا يقع فيها وهي:

١- الولاء للغرب وعدم البراءة من الكفر.

٢- الحذر من الوقوع في « دعوة التقريب بين الأديان » .

٣- الاستعلاء وشعور المحاور الغربي بالفوقية والمحاور المسلم بالدونية.

٤- تقديم التنازلات عن الثوابت والمسلمات.

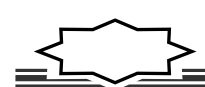
٥- عدم الجهر بالحق، وبيان حقائق الإسلام ومبادئه العظام.

٦- حصر الاهتمام بالحوار مع الغرب وإغفال الشعوب والأمم الأخرى.

وختامًا أسأل الله تعالى أن أكون وفقت فيما ذكرت من أهداف ومحاذير.

والله ولي التوفيق.





فهرس الموضوعات